تمهيد

كان القرن العشرين.. رغم الحربين الكونيتين اللتين تخللته، والمآسي والدمار.. اللذين خلفتهما، والضحايا.. الذين سقطوا فيهما، من مقاتلين وأبرياء.. من الشباب والشيوخ، والنساء والأطفال.. الذين نافت أعدادهما عن الستين مليوناً من البشر.. إلا أنه كان قرن الإنجازات العملاقة، والتقدم الإنساني الباهر.. غير المسبوق، وعلى مختلف الأصعدة، فقد قطعت البشرية فيه.. فوق مشوار تطورها: العلمي والصناعي والزراعي والطبي والحياتي والتقني.. ما لم تقطعه طوال القرون الماضيات مجتمعة، ولذلك كان إجمالاً: قرن الذروة.. في كل منحى، وقرن الأمجاد.. في كل شيء..!!

ولأنه كان كذلك.. فقد امتلأت أيامه وسنواته وعقوده بـ«الأسماء» و«النجوم».. بـ «الشموس» و«الأقمار» في كل مفردات التقدم الإنساني على اتساعها وكثرتها، والتي كان من بينها.. وربما في طليعتها الملفتة: الآداب والفنون، والفكر والفلسفة، والشعر والموسيقى، ثم ولّى زمنه كما يولي كل شيء في هذه «الدنيا».. إلا أن أسماء نجومه وأقماره وشموسه لم تولِّ معه، بل بقيت خالدة في ذاكرة الأجيال وسمعها. شاخصة في ضميرها ووجدانها.. لأنها تركت بصمات لا تمحي، وكلمات لا تنسى، وأفكاراً لا تموت.

* * *

ولقد كان من حسن حظي.. أنني عرفت بعض البعض من هؤلاء.. عن قرب، وعشت مع الأكثرية منهم فكراً وروحاً والهاماً.. عن بُعد، إلا أن هؤلاء وأولئك.. ظلوا يعيشون في قلبي وعقلي، في روحي ووجداني.. حتى بعد أن باعد الموت بيني وبين من عرفت منهم، وبيني وبين مَن لم أعرفهم من قبل.. ولذلك عندما دعتني مجلة «جدة» - وهي إحدى المجلات التي تعنى بـ «القيمة» - لمواصلة الكتابة الشهرية فيها بعد أن انتهت حلقات (النقش على الذاكرة.. عن جدة: المكان والإنسان).. لم أجد خيراً - ونحن في بدايات القرن الواحد والعشرين - من استرجاع لمحات من حياة تلك الأسماء والنجوم.. تلك الأقمار والشموس الساطعة في القرن العشرين.. لا لأتذكرها وأذكّر بها.. فقط، بل ولأبعث لها وهي في غيبة موتها الجسدي.. بـ «صحبة» ورد و«باقة» حب تقول لهم: إنكم فوق النسيان.. بما قدمتموه وسطرتموه بآرائكم وأفكاركم.. بأقلامكم ودموعكم.. بأفراحكم وأحزانكم، وأن أجيالاً وأقلاماً تعرفكم وربما لا تعرفونها.. ستكتب عنكم ذات يوم وكما كنتم تتوقعون: سطراً.. أو سطوراً من الإجلال والتقدير والعرفان لكم.

وها أنا أفعل ذلك مجدداً.. بعد أن نشرت هذه الفصول صحفياً في مجلة (جدة) الشهرية على مدى أكثر من عامين.. بـ (إعادة) جمعها ونشرها في (كتاب) واحد، يسهل تداوله بين يدي القراء.. ممن يشاركونني تقدير وإجلال هذه (القمم).. هذه الأقمار والشموس الساطعة في سماء القرن العشرين: فكراً وأدباً وفلسفة وشعراً.